ويبقى بعد ذلك الأمر الرابع والأخير فى مرجحات لهجة على أخرى ، وهو ما يلخصه قول ابن خالويه :

• قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت فى القرآن فهى أفصح مما فى غير القرآن لا خلاف فى ذلك (١) .

وأنا مع هذا الإجماع ، بشرط أن يفهم فهما معينا ، مؤداه أن اللغة إذا وردت فى القرآن ، فقد أصبحت شيئا مختلفا عما كانت عليه وهى لهجة ، إذ تصبح حينئذ عنصرا من عناصر اللغة الفصحى العامة ، حيث استخدمت فى أرقى نص نموذجى لها ، أما التلفت إلى الوراء لرؤية ما استخدم فى القرآن من منظار اللهجة ، فإنه قد يفيد تاريخ استعمال الألفاظ والجمل ، لكنه لا يدل على الترجيح أو التفضيل .

أخيراً : فإن موقف النحاة من هذه القضية يعود إلى أمرين متلازمين هما :

الأول : اعتبار اللغة الفصحى هى اللهجات مجتمعة .

الثانى : إمكان أن تكون لغة أفضل من لغة أخرى .

والأمر الأول كان أساس نظرتهم للصلة بين الفصحى واللهجات وقد تقدم ذكره .

أما الأمر الثانى فهو الإضافة الجديدة هنا لموقفهم من اللهجات ترجيحا ومفاضلة .

---

(١) عن : المزهر ج ١ ص ١٢٩ .